من هو المعاق حقيقة؟

يظن كثير من الناس أن المعاق حقيقة هو من فقد الأهلية على الحياة الطبيعية من ذوي الاحتياجات الخاصة، وهذه الطائفة ممن أصيب بعاهة ذهنية أو فكرية أو نفسية مأجورون في الإسلام، لهم منزلتهم من الاحتفاء والاعتناء، لكن المعاق حقيقة هو من عطّل عقله، وجمّد حواسه، وأمات مشاعره، فعاش ثوراً في مسلاخ إنسان، وتحول إلى بهيمة في صورة ابن آدم، ومُسخ إلى دابة في هيئة بشر، ولهذا قال الله تعالى عن هذا الصنف: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾.

فمن لم يفكر بعقله التفكير الصحيح، ولم يعتقد بقلبه الاعتقاد السليم، ومن لم ينهج النهج القويم، ويسلك الصراط المستقيم فهو معاق حقيقة، أما من أصيب بعاهة في جسمه فقد تكون هذه العاهة سبباً لعظمته ونجاحه وتفوقه، وقد طالعتُ حياة المشاهير والنجوم في العالم، وإذا طائفة منهم أصيبوا بعاهات في أبدانهم، فابن عباس عالم الأمة عمي في آخر عمره، وقتادة أعمى، وعطاء بن أبي رباح عالم الدنيا أشل أحنف أعرج، والزمخشري مبتور الرجل، وروزفلت مقعد، وبتهوفن أصم، وغيرهم كثير من العمي والعرج والخرس والبكم والمقعدين، ومع هذا ملأوا الدنيا نجاحاً ومجداً وأثراً طيباً، وعندنا ألوف مألفة من الشباب القوي المتين الثخين السمين البدين، إلى درجة أن أحدهم قد يصارع الثور، ويطرح البغل، ويقلب الحمار على ظهره، ولكنه فاشل في الحياة، فلا علم ولا فهم، ولا إيمان راسخ، ولا خُلق قويم، ولا مشاركة في الحياة، ولا نفع يُرجى منه، كما قال حسان بن ثابت في بعض الناس:

لا بأسَ بالقَومِ من طولٍ ومن عِظَمٍ
جسمُ البِغالِ وَأَحلامُ العَصافيرِ

وقد ذم الله أعداء المنافقين على رغم قوة أجسامهم وفصاحتهم لكن لخبث سيرتهم وقبيح سريرتهم قال عنهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾، نحن نحتاج إلى عقول ذكية وأفكار سوية وأخلاق راشدة وهمم عالية، أما الجثث الهامدة والأجسام البالية التي لا روح فيها ولا نور ولا مشاعر فهي العبء الثقيل، والعذاب الوبيل على الناس وعلى الحياة، وقد وجدنا من ذوي الاحتياجات الخاصة من صار قصة في النجاح، ومثلاً شروداً في الإبداع فمنهم من حصل على رغم شلله على درجة الدكتوراه، ومنهم من ألّف الكتب وهو مقعد، ومنهم من ساهم في مشروع نافع مفيد وهو فاقد لبعض أعضائه، وقد خصصت قناة اقرأ برنامجاً عن ذوي الاحتياجات الخاصة داخلنا فيه الأمير الإنسان سلطان بن سلمان فسمعنا من قصص النجاح ومن فتح باب الأمل ومن المبشرات لهذه الطائفة من الناس ما أثلج الصدور وصارت المحنة منحة والبلية عطية وتذكرنا قول أبي الطيب:

لَعَلَّ عَتبَكَ مَحمودٌ عَواقِبُهُ
فَرُبَّما صَحَّتِ الأَجسامُ بِالعِلَلِ

وقال أبو تمام:

قَد يُنعِمُ اللهُ بِالبَلوى وَإِن عَظُمَت
وَيَبتَلي اللهُ بَعضَ القَومِ بِالنِعَمِ

هنيئاً للمصابين في أجسامهم المعافين في عقولهم وإيمانهم، وطوبى لمن صنع من الليمون شراباً حلواً، وسلامٌ على من حوّل الخسائر إلى أرباح فلم تعطله آفة، ولم تقعده عاهة عن المواصلة والعمل والإنتاج والإبداع، وتباً لمن عطّل مواهب الله عليه فعاش صفراً ومات صفراً ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، أيها الأخوة الفضلاء والأخوات الفاضلات من ذوي الاحتياجات الخاصة ليس عندكم إعاقة، المعاق حقيقة هو الفاشل والمحبط والكسلان الذي عاش بلا رسالة ولا هدف في الحياة وإنما صار لفظاً زائداً وجملة غير مفيدة في كتاب الحياة.

لا تهددوا العالم

عند كثير من المسلمين قدرة عجيبة في استعداء العالم، وتحويل الأصدقاء إلى أعداء، فتجد مثلاً الخطاب السياسي في بعض الدول العربية والإسلامية يحمل التهديد والوعيد للدول الكبرى، بينما هذه الدول الضعيفة المسكينة عاجزة عن توفير الخبز والبنزين ومحو الأمية عن شعوبها، وسمعت في قناة العربية مفكراً إيرانياً إصلاحياً يسخر من نظام بلاده، ويقول: ما أدري إلى أين تنتهي بنا قائمة الموت؟ فقد بدأ النظام بهتاف: الموت لأمريكا، ثم أضاف الموت لإسرائيل، ثم شك في بريطانيا فأضاف: الموت لبريطانيا، ولما تدخلت صحفية فرنسية في تغطية أخبار المظاهرات بإيران، أضافوا: الموت لفرنسا، وإذا لم تتخذ روسيا قرار النقض (الفيتو) ضد العقوبات على إيران فسوف يضيفون: الموت لروسيا، وربما يدخل في القائمة غداً الصومال وبركينفاسو وغانا لحسن علاقاتها بأمريكا، وفي الأخير سوف يقولون: الموت للعالم.

بالله هل هذه العقول تحترم نفسها، وهي ترفع شعار الإسلام؟! والإسلام يدعوك لتحويل العدو إلى صديق، لا تحويل الصديق إلى عدو، قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾، وبعض الأئمة يدعو في القنوت: اللهم اهلك اليهود ومن هاودهم، والنصارى ومن ناصرهم، والمجوس ومن ماجسهم، والبوذيين ومن باوذهم، والصينيين ومن صاينهم، ثم تضيق دائرة الدعاء فيدعو على الأحزاب المخالفة والفرق الضالة والطوائف المبتدعة، فلا يبقى إلا أهل حارته، بل وصل الحال ببعض الأئمة على أن دعا بضرب اقتصاد الغرب وبالأمراض عليهم، مع العلم أننا سوف نتضرر بما يحل بهم، فاقتصادنا واحد والأمراض والأوبئة سوف تصلنا، لأننا نعيش في كوكب واحد، والبعض يعمم الدعاء على الكفار، سواء المعتدين أو غيرهم، مع العلم أن الذي صنع الميكروفون في المسجد،

واكتشف الكهرباء، ونقّب عن الغاز، واخترع التلفزيون والراديو والنت كلهم كفار، وكثير منهم لم يحاربنا، لأنه مشغول باكتشافاته واختراعاته، وهو قابع في معمله، مكب على بحوثه، ونحن مشغولون بالدبكة السامرية، والعرضة الشعبية.

لماذا يحرص بعضنا على استعداء العالم، وتهديد الدنيا، والدعاء بالويل والثبور للمعمورة، ما هي المصلحة من تنبيه الغافل، وإيقاظ النائم، وتوجيه الأنظار إلى أننا قادمون ومستعدون، لمحاربة العالم؟ هل هذا منهج الإسلام؟ هل هذا منطق الدين؟ هل هذا من العقل؟ أم هو الحمق بعينه، والغباء بأصله، إننا بحاجة لطمأنة العالم وزيادة الأصدقاء وتحييد الخصوم؛ لأن رسالتنا رسالة عالمية فيها الرحمة والسلام والأمن، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾. بعض الزعماء إذا خطب في الجماهير الجائعة المسحوقة المسلوبة الإرادة لبس الزي العسكري، وهو لم ينتصر في أي معركة، وعلّق النياشين على صدره، والنجوم على أكتافه، وتاج الاستقلال على رأسه، وهو الذي استعمر بلاده، ثم ألقى خطبة نارية، توعد فيها الدول الكبرى بالنار والدمار، وبلده يعيش أزمة الغلاء والوباء، ولم يذق طعماً للنصر، بل هو مهزوم في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون علماء وخطباء وساسة ومثقفون وكتّاب قدموا خطاباً عاقلاً راشداً مسئولاً، يحمل الرفق واللين والرحمة بالبشر، وكفانا هزائم وشعارات خدّاعة، وإنجازات وهمية، وأفكار طائشة، لا تناسب إلا المرضى نفسياً، والمراهقين عقلياً، والمهزومين روحياً.

إن شريعتنا تدعونا إلى التواصل بالبر لغير المسلمين إذا لم يقاتلونا، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾، فكيف يأتي بعضنا بطيش وحماقة ليستعدي العالم المسالم، ويهدد أمم الأرض، وهو عاجز عن العيش بسلام في أرضه؟

مناهج بلا سخف

شاهدتُ قناة العربية الأربعاء الماضي عصراً، وهي تخبر عن أسئلة سخيفة، قدّمها بعض الأستاذة في المدينة المنورة لطلابهم في الامتحان، فحمدت الله على نعمة العقل، وكان يسألهم في الامتحان عن أسماء اللاعبين والنادي الزعيم وألوان الأندية إلى غير ذلك من الكلام الفارغ، وبالله عليكم هل هذا الأستاذ مؤهل لتوجيه جيل، وتربية شباب، وحمل أمانة، وتقويم أخلاق، وتصحيح أفكار؟ وانظر إليه حينما ترك مادته، التي يجب أن يقتلها بحثاً وتدريساً وتفهيماً، وقفز إلى ألوان الفنايل وأشكال السراويل وأسماء اللاعبين، وكأن الإعلام قصّر في عرض المباراة، ونشر الثقافة الرياضية، وتعليم العجائز بأسماء اللاعبين، وتحفيظ الشيبان أسماء الأندية.

وهناك سخف في المنهاج كإشغال الطلاب بالآراء المذهبية المقلدة المتعصبة، وهجر التفقه في الكتاب والسنة والاستنباط من الأدلة، ومثل عرض نقائض جرير والفرزدق في الأدب العربي وتدريسها الطلاب، على أنها من تراثنا وهي سب وشتم وفحش وقذف، ومن السخف تدريس الطلاب الجوانب المظلمة في تاريخنا الإسلامي، مثل خمريات أبي نواس، وإلحاديات أبي العلاء المعري وأبي حيان التوحيدي وابن الريوندي، ومن السخف إشغال الطلاب بأخبار مغنّي هارون الرشيد، وجواري الأمين، وحكايات الأعراب، ودقائق وتفاصيل أصول بني أمية وبني العباس وأخبار الشعراء المرتزقة، الذين ينتظر أحدهم صرخة الخليفة: أعطه يا غلام ألف دينار. بعدما يسكر الخليفة بخمر المديح.

ومن السخف في المناهج وقدر درسنا ذلك في المتوسط والإعدادي إرهاق أذهان الطلاب بالصادرات والواردات في دول فقيرة لا تُرى بالعين المجردة على الخارطة كمدغشقر وبوركينافاسو وداهومي (بنين) وموزنبيق، وتحفيظ الطلاب

المطاط والأناناس والكاكاو والنحاس ونسبة كل مادة لدولة من هذه الدول، مع هجر أصول المعرفة، وسنن الله في الكون، وأصول الحضارة، وسبل التقدم والرقي، ومن السخف إدخال الطلاب في متاهات التاريخ المعاصر ودقائقه، مع هجر قضاياه الكبرى، فهم يدرسون الطلاب انقلاباً وقع في دولة، وعسكرياً اغتصب السلطة مع العلم أن هذه الحوادث تجري كل يوم، بل وصلت الثقافة في بعض المناهج إلى دراسة الأزياء والأكلات الشعبية وأنواع الرقصات القبيلة وفنون الأهازيج الحمينية وأغاني رعاة الأغنام، ومن السخف دراسة طلاب المتوسطة في المعاهد الشرعية لدقائق الجبر والهندسة والحساب، ثم لا يجيدونها ولا يفهمون الدروس الأصلية، التي أُسست المعاهد من أجلها: كالعقيدة والتفسير والحديث والفقه.

ومن السخف إشغال الطلاب في السنوات الأولى من دراستهم بأسماء الفرق والطوائف كالقدرية والجبرية والجهمية والمعتزلة ونحوها مع عدم دراسة العقيدة الصحيحة باستفاضه وفهم عميق، ومن السخف خروج الأستاذ عن مادته خاصة إذا كانت مهمة إلى مادة ثانوية، ويوم درسنا الابتدائية كان يخرجنا بعض الأساتذة ممن ساهموا في نكسة حزيران من حصة القرآن إلى حصة الرياضة، وكأن التمارين أهم من كلام رب العالمين، ينبغي أن نرفع مستوى مناهجنا عن السخف والابتذال، ونحافظ على الثوابت العظيمة، مع معطيات العصر الكريمة، والاستفادة من العقول السليمة، والآراء القويمة، ينبغي أن ننافس العالم بمناهج تعيش حياتنا وتحمل رسالتنا وتراعي هويتنا؛ لنصل بها إلى المجد في الدنيا والفلاح في الآخرة، وينبغي أن يعلم كل أستاذ أنه مسؤول أمام الله ثم أمته وتاريخه عن أبناء المسلمين وفلذات أكباد المؤمنين، الذين يجلسون أمامه خاشعين منصتين، والمناهج الدراسية هي المرآة، التي تريك مستوى رقي الشعوب وتقدم الأمم وازدهار الدول.

وأخيراً شاهدتُ فرعون

قبل أيام معدودات زرت المتحف الوطني بالقاهرة، وشاهدت المدعو فرعون الذي تجبر وتكبر وعصا وعتا، وتمرد وطغى، وصاح في شعبه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ونادى في الجمهور ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، ورأيت جثته الهامدة وجثمانه البالي، وتذكرت قول الواحد القهار فيه ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾، ودارت في ذهني مأساة الإنسان يوم ينسى ربه، ويظلم نفسه، ويتجاوز حدوده، ويتعدى طوره، كيف يكون مصرعه، وكيف تتم نهايته؟ رأيت فرعون بهيكله العظمي، ووجهه الكالح، وأسنانه الظاهرة، وجمجمته المهشمة وحيداً منفرداً صفراً من كل شيء، مجرداً من كل قوة، مسلوباً من كل نعمة، معروضاً لعيون الناس بتاريخه وسيرته وجثمانه، رأيته في صندوق زجاجي بلا دولة ولا سلطان، ولا قوة ولا هيلمان، ولا سلطة ولا صولجان، ولا جنود ولا أعوان.

كان يقول له موسى: قل لا إله إلا الله، فيقول الخسيس الحقير: أنا الله، كان يقول له موسى: ربي وربك الواحد الأحد جل في علاه، فيقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، ملك الغبي الأحمق قطعة من الأرض فاستبد، وقال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾، فأجرى الله الأنهار من فوق رأسه، تذكرت فرعون وهو يغرق في الماء، ثم يُرمى في البيداء، كما تُرمى الضفدع الميتة، أما فكر المعتوه في الكون، أما نظر في السموات والأرض، أما شاهد الأفلاك والكواكب، أما نظر إلى الشمس والقمر، أما قرأ القدرة في النجوم اللامعة، والجبال الشاهقة، والبحار الهاجرة، والريح الهائجة، والأنهار المتدفقة، والثمار اليانعة؟ ما له قاتله الله ألغى عقله، وشطّب على ضميره، وداس بقدمه تفكيره، لماذا لم يقف وقفة تأمل مع نفسه، ليعلم أنه لا يصلح رباً ولا يكون إلهاً أبداً؛ لأن الرب سبحانه حي لا يموت، دائم لا يفنى، غني لا يفتقر، قوي لا يضعف، لا ينام.

ولا يـأكل الطعام، ولا يحتـاج للأنام، ولا تغيره الأيام، أما فرعون فمخلوق ضعيف، يمـوت كما يموت الناس، ويجوع كما تجوع البهائم، وينعس كما ينعس القط، وينام كمـا ينام الفـأر، ويأكل الطعام ويذهب إلى الخلاء، فـإن كان فرعون خلق الكون، فكيـف يخلقه والكون مخلوق قبله بملايين السنـين؟ وإن كان هو رفع السماء فأين قوته لم تحمه من هيجان الماء، تبت يد الطاغية كيف ارتكب تبت الكبرى وصدقها، وهو أنه صنع الكون وهندسه، وأنه خلق الكائنات، وملك الأرض والسموات، سحقاً له، كيف أخرج للعالم مسرحية عابثة هزيلة سخيفة، خلاصتها: أنه يجب أن يُعبد من دون الله، أيعبد إنسان! إنما هو قطعة لحم وهيكل عظم يغص باللقمة، ويشرق بالشربة، ويضيق بالزكام، ويحتاج إلى الطعام، ويغيبه المنام، ويقلقه الحر، ويؤذيه الـبرد، وينهشـه الجوع، ويزعجه الظمأ، ويوهنه المرض، كيـف يكون إلهاً مَنْ أوله نطفـة مذرة، وهو يحمـل في بطنه العذرة، وينتهي إلى جيفة قذرة؟! كيف يكون رباً مـن يبكي ويحزن ويهتم ويتثـاءب ويعطس ويغفل وينسى ويغضـب ويحقد ويحسد ويمتخـط ويبول ويتغوّط ويجامع، إن هذا إنسان مخلـوق ضعيف هزيل هش بائس فقـير، وليس بإلـه قوي غني قاهر حي قيوم فعال لما يريـد، أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

شاهـدت فرعون فصاح قلبي: لا إله إلا الله، البقاء لله، العظمة لله، الكبرياء لله، الملكـوت والجبروت لله، ونظـرت في وجه فرعون الكالح، وقال قلبي: تباً لك يا مريد، وسحقاً لك يا عنيد، ولعنة عليك يا بليد، ذق نهايتك المرة، وتجرع غصص الحسرة، وكـن عبرة وأي عبرة، لقد جئنا بعدك يا فرعون بآلاف السنين، وعرفنا أن الله هـو رب العالمـين، وإله الأولـين والآخرين، أما أنت فصفـر في هذا الكون، ومخلـوق غير سـوي في هذا الوجود، نقرأ سيرتك فنـزداد غيظاً عليك، ونبرأ إلى الله منـك ومـن منهجك، ونعوذ بالله مـن مصير كمصـيرك، ونستجير بالله من نهاية كنهايتك، والويل كل الويل لمن قلّد فرعون، أو نهج نهجه، أو رضي أفعاله.

عندنا مرض اسمه (ضيق الأفق)

متى نصحوا؟ متى نتجرد للحقيقة؟ متى نكون صرحاء مع أنفسنا والناس؟ متى نواجه مشكلاتنا بشجاعة؟ ما زلنا نضيق بالنقد، ونعشق المدح، ونطرب للثناء، ونخفي جراحنا، وندفن أخطاءنا، ونرفض الاعتراف بمآسينا، مثقفونا يتراشقون بالتهم، الإداريون يلقون مسؤولية الكوارث على الطبيعة والأمطار والرياح والجبال والأودية، وليس فيهم من يعترف بخطئه، بل يقذف بالكرة في مرمى الآخرين، ويبحث عن ضحية يشنقه أمام الجمهور، العالم الآخر يناقش قضاياه تحت قبة البرلمان، ورئيس أكبر دولة في العالم يقول لشعبه: آسف آسف، ما نفعت فينا الشريعة ولا أي ثقافة، أزور المشايخ فإذا الكل معجب بنفسه ويمدح ذاته، أجلس مع التجار فإذا كلهم يرون أنهم هبة من الله للأمة، وأجلس مع القبائل فإذا كل قبيلة تغني بأشعار الشجاعة والتضحية، ومقصودهم حروب السلب والنهب قبل توحيد السعودية على يد قائد الثورة عبدالعزيز بن عبدالرحمن.

الأدباء عندنا والكتّاب في أبراج عاجية، رضينا كلنا عن أنفسنا، الكل منا أخذ مقلباً في نفسه، تدخل على الموظف تريد أن تجامله بعبارة، وتجبر خاطره بكلمتين، فيأخذ الحديث عنك، ويلقي عليك محاضرة طويلة ثقيلة وبيلة عن إنجازاته الشفوية ومشاريعه الوهمية، أغلب المشايخ يشكون لك من تنكر الناس لهم، وعدم معرفة العامة بمنزلة أهل الفضل، ويقصدون أنفسهم وبمكانة أهل العلم ويعني ذاته، ليس فينا واحدٌ يعلن مسؤوليته عن خطأ وقع أو خلل حدث، فالإعلام في العالم العربي مهمته الإنكار والتبرير والتغني بالمنجزات، التي حسدنا عليها (المجلس الأوروبي)، واندهل منها (الكونجرس)، واندهش منها (الكرملن)، وعجب منها (النمور الآسيوية)، عندنا حساسية من النقد نرفضه ولا نقبله، ومن نقدنا فهو عدونا، ونهش للمديح، ونسكر بالثناء، ونخدر بالإطراء، فمن شكرنا وتغنى بأمجادنا فهو حبيبنا، العامة يغردون بمجد القبيلة، ويتغنون

بأمجـاد الأجداد بين الخيمة والناقة والثور والبئـر، والكتّاب في الغالب يتحرشون برمـوز المجتمع من مسـؤول أو عالم أو وزير أو مثقـف لأن مجدهم في إلقاء التهم وصلب المخالف على خشبة الموت.

أقـول هذا ليس من باب جلد الذات لكنها الحقيقة، فقد خالطتُ كل الشرائح في المجتمـع وجالستهم، وأنا واحد منهـم أصابني نفس الداء الذي أصابهم، نحب تقبيـل الرؤوسـ وبوس الخشوم وكلمة الإطـراء، ونغضب إذا جُـردت أسماؤنا بلا ألقـاب، كان الصحابـة يقولـون للخليفة مباشـرة بشفافية وصراحة: يـا أبا بكر، يـا عمر، يـا عثمان، يا علي، وكذلك فعـل العالم الآخر ينـادون رموزهم بالأسماء المجـردة، لكن عندنا لك الويل يوم تجرد أحداً مـن ألقابه العلمية والتراثية، نحن نسـتر الجرح ولا نعالجه، ونخفي الخلل ولا نصلحه، وندفن الخطأ ولا نواجهه، ما سمعت أحداً منا اعتذر يوماً ما أو قال: أنا المسؤول عما حصل، ولهذا سوف تستمر أخطاؤنـا، لأن أول الإصلاح الاعتراف بالخطأ، نحـن نعيش على معزوفة الشاعر جرير بن عطية حيث يقول لعبدالملك بن مروان:

ألـسـتـم خـيرَ مـن ركـبَ المـطـايـا
وأنـــدى الـعـالمـين بـطـونَ راحِ

فنحـن خير مـن ركب المطايـا، وشـرب المنايا، وحفـظ الحكايـا، وجلس في الزوايـا، أمـا غيرنا فلا يَغرُك ولـو صعدوا إلى سطـح القمـر، أو وصولوا المريخ، أو غـزوا قـاع البحار، أو عمّروا حياتهـم الدنيا، فهم طروش بحـر ليسوا مثلنا في الأصالـة والبسالـة، لأننا حافظنا علـى تراثنا القديم من الرحـى والرشى وجفنة العـود والفأس وقـدح الخشب وحبال السلب، فما شـاء الله تبارك الله علينا، الله يحمينا من العيون، الله يحصننا من الحسد، الله يدافع عنا من كيد العالم، سوف نستمـر في الدعاء علـى الأمريكان والأوروبيين واليابانيـين والصينيين والكوريين، لأنهم يتربصون بنا الدوائر غيرة وحسداً.

نشرة الأخبار

كنتُ في صبابي أعيشُ في قرية جميلة جنوب السعودية، تنام هذه القرية في سفح جبل أخضر، وكنتُ أستمع لهيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) صباح مساء، فكان يتردد على مسمعي أسماء: ماجد سرحان، وهدى رشيد المدفعي، وحسن الكرمي في برنامج (قول على قول)، الذي كنتُ أسجله، وأحفظ أكثر أبياته. والسياسة بين السائل والمجيب، وسماع أقوال القاردن والصندي تايمز والديلي مرر، وغيرها من الصحف البريطانية، فكانت مدرسة إعلامية رائعة، فلما كبرنا ودلفت الفضائيات أمطرنا في العالم العربي بنشرة الأخبار الطويلة الثقيلة، التي تحمل فصولاً وأبواباً، فيبدأ المذيع بالأخبار السياسية، منذ وصول الضيف إلى أرض المطار، وفتح باب الطائرة، والنزول من السلم، وعزف السلامين الوطنيين، واستعراض حرس الشرف، وتناول القهوة العربية، وأحياناً (النسكافا)، وفي المغرب العربي الشاهي الأخضر، ثم مرافقة الضيف إلى المكان المعد.

ثم الأخبار المحلية: كافتتاح مدرسة ابتدائية ليلية لمحو الأمية، وذكر فقرات الحفل والقصائد، التي أُلقيت بهذه المناسبة العالمية، وافتتاح سوق الخضرة في قرية، وترميم مستوصف أهلي بالبادية، ثم أخبار الرياضة، وخروج المنتخب مبكراً من أرض الملعب مهزوماً ثمانية صفر، لرداءة الجو وهطول الأمطار، ثم سباق الخيل والهجن والمزايين، ثم حالة الطقس وحالة البحر والريح والجبال والسهول والوديان، وطلوع الشمس وكسوفها، وخسوف القمر، ويُروى أن مذيعاً ضيّع ورقة حالة البحر، فارتجل من رأسه غيباً، وقال: البحر هائق ومائق، ويطيش على الناس، أي هائج ومائج، ومذيع آخر كانت دولته في حالة حرب، فترك النص أمام عينيه، وارتجل من الحماس، وقال: زمرة التشطير والانفصال، قاتلهم الله أنَّى يُؤفكون، ومذيع آخر توفي ابن رئيس دولته في حادث سير، فبكى المذيع في الأخبار، وأخذ يقول: إلى جنة الخلد أيها الفقيد الشهيد، والمذيع العربي هو الوحيد

الذي لا يستطيع الحياد، حينما يقرأ الأخبار، بل تغلبه عواطفه، فتجده إذا خُفض سعر الغاز في بلده تهلل وجهه وتبسم، وغمرته الفرحة، وإذا مات مدير مدرسة متقاعد بكى وغلبته دموعه، ونشرة الأخبار غالباً تأتي بعد تناول طعام العشاء، فتجد بعض المذيعين يتجشأ وهو يقرأ الخبر، ويقول: عفواً عفواً، وبعضهم يشير بيديه، وهو يقرأ الأخبار من شدة الحماس والانفعال كأنه يلقي قصيدة في سوق عكاظ، ويُروى أن أحد المذيعين فاتته الصيدلية المناوبة تلك الليلة، فقال مرتجلاً: صيدلية العيدروس خلف الدوار العام أمام الجامع الكبير، ونشرة الأخبار في العالم العربي أطول نشرة في العالم، مع العلم أنها في العالم الغربي بلد الصناعة والإنتاج لا تأخذ إلا دقائق معدودة.

وأنا اقترح أن توزع نشرة الأخبار على سائر اليوم، حتى يخف على المشاهد متابعتها، ولا يضيق صدره وتنطمس بصيرته من طولها، فحبذا أن تكون نشرة الأخبار السياسية بعد الظهر إلى قبيل العصر؛ ليتمكن الناس من الغداء والقيلولة وبعد العصر الأخبار المحلية، أما أخبار الرياضة فبعد صلاة المغرب وبعد العشاء حالة الطقس، ثم يُترك الناس لتناول طعام العشاء، ثم نشرة الصيدليات المناوبة، وبهذا يأخذ المتلقي الكريم الأخبار على دفعات، ويتناولها على جرعات ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ وإذا لم يُعمل بهذا الرأي فسوف تبقى التلفزيونات المحلية كما هو الحال مهجورةً لا يشاهدها إلا من رزقه الله الصبر وسعة البال، ليكفَّر الله عنه الخطايا بحلمه وسعة باله، متى نعيش روح العمل والإنجاز على حساب القول والابتزاز؟ متى نودع الهذيان والإسهال اللفظي والإسهاب الخطابي، ونعيش المعرفة الصادقة، والوضوح مع النفس ومع الناس؟ أربعون سنة ونشرة الأخبار في العالم العربي على وضعها الأول وبحالها، تحمل النشرة الخبر والبشرى والعزاء والمديح والهجوم المضاد ومعايشة التفاصيل اليومية، التي تجري في كل شارع وقرية، قال: عبدالله البردّوني:

وقـاتـلـتْ دونـنـا الأبـــواقُ صـامـدةً
أمـا الـرّجـالُ فـمـاتـوا ثـمَّ أو هـربُـوا

وأطـفـئـتْ شـهـبُ المـيـراجِ أنجـمـنَـا
وشـمـسَـنـا وتحـــدّتْ نـارَهـا الخـطـبُ

نحـن أمة البيـان فأين إيجاز وإعجاز القرآن، لقد سمـع أعرابي قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾، فاندهش الأعرابي وصاح: الله أكبر في آية واحدة أمران ونهيان وبشارتان، كتب الرسول ﷺ إلى هرقل فقال: «أسْلِمْ تَسْلَمْ»، وكتب سليمان إلى بلقيس: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾، وكتب خالد إلى عياض بن غنم (إيّاكَ أُريد)، قال راكان بن حثلين:

مـا قـلَّ دلَّ وكـثـرة الـهـرج نـيـشـان
والـهـرج يكـفـي صـامـلـه عـن كـثـيـره

وقال الأول:

قـالـوا خـذ الـعـين مـن كـلٍّ فـقـلـتُ لـهـم:
في الـعـينِ فـضـلٌ ولـكـنْ نـاظـرُ الـعـينِ

يا فخامة الرئيس

على إسرائيل أن تطمئن ولا تخاف من مفاعلات إيران النووية، فلن تكون إيران أغْيَرَ من العرب على أرض العرب، ولن تكون أحرص على أرض الإسلام من سلالة المهاجرين والأنصار، وما دام أن العرب عجزوا عن فتح بيت المقدس، فإيران أذكى من أن تورّط نفسها في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل.

وبيت المقدس في التاريخ الإسلامي فُتِح مرتين على يد قائدين مسلمين عظيمين صالحين هما: عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي، تجمعهما التقوى والزهد والعدل والشجاعة، ولن يفتح بيت المقدس إلا قائد تقي زاهد عادل شجاع، ولا يفتحه قائد جاء على دبابة الاستعمار، فلابد للفتح من نكاح لا سفاح وفي الحديث الصحيح: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وغالب الرؤساء تولّوا برتبة عريف، فكان أول مرسوم له أن ترقى إلى رتبة فريق، اقتباساً من الآية ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ أما الجيوش العربية فغالبها متهيئة للانقلابات في بلادها، فكل دولة عربية في الغالب تتربص بجارتها، وتتوعّدها بالويل والثبور، وعظائم الأمور، وغالب الشوارع العامة في الدول العربية مرفوع فيها أقواس النصر وصور القائد الرمز الملهم الضرورة.

حتى إني دخلتُ بلداً عربيّاً وإذا صورة الرئيس القائد على الكباري والجسور، وعليه النياشين والنجوم، وعيناه كعيني الصقر، وهو يشير بيده للجماهير، كأنه ليث كاسر، وتحت قدميه عبارات: سر بنا إلى الأمام، يا حبيب الملايين، ويا نصير المستضعفين. مع العلم أن ثلث الشعب من المشرَّدين والثلث من المسجونين، والثلث يبيع الحلقوم والجوارب على طريق السالكين:

وحدويّون والبلادُ شظايا

كل جزءٍ من جسمها أجزاءُ

ناصريّون نصرهم أين ولّى
يوم داست على الخدود الحذاءُ؟

ماركسيّون والجماهير جوعى
فلماذا لا يشبع الفقراء؟

والعرب مشغولون بذكرى أعياد كبرى، مثل ثورة ٧ تموز، يوم أكل الناس قشر الموز، وثورة ٩ كانون يوم ذاق الشعب النون وما يعلمون، و ٥ آب يوم سفّت الجماهير التراب، وهذه الثورة المجيدة تمّت بمؤامرة لاغتيال الرئيس السابق في آخر الليل، وبهذه الطريقة صار العرب نكرة في المحافل الدولية:

ولا يجوز الابتداء بالنكره
ومن أجاز ذاك فهو بقره

والعرب شجعان في الحروب الأهلية أو مع جيرانهم العرب، ففتح وحماس، في كرب وباس، كل يحطّم رأس أخيه بالفاس، وحزب الله وعدنا بنصر الله في القدس، فإذا القتال في بيروت تحت شعار ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، والسودان يفور، من الخرطوم إلى دارفور، كأنه على دافور، وقادة الجهاد السبعة في أفغانستان تقاتلوا فيما بينهم، وكل منهم مجاهد شهيد، وخصمه منافق رعديد، والسلاح العربي غالبه (خردة) انتهت صلاحيته؛ لأنه بيع في عهد برجنيف وبعضه من عهد ديجول، والجماهير تصفّق بمناسبة افتتاح مستوصف في قرية من القرى، وفتح طريق مسفلت طوله ٣كم، وكثيرٌ من الشباب عاطل عن العمل بعدما أكمل دراسته إلى رابعة ابتدائي ليلي من محو الأمية، وأخذ كل شاب هراوة بيده

وهم يرقصون ويرددون (الحسود في عينه عود)، وما أدري من هو هذا الحسود الغبي، الذي حسد العرب ولم يحسد أهل الاختراعات والاكتشافات، الذين احتلوا المريخ وعطارد، بعدما احتلوا البحار والقفار، وأنزلوا حاملة الطائرات (إيزن هور) في مياه الخليج لتحمل مائة طائرة، وكل مسمار من مساميرها كتمثال فخامة

الرئيس، إذاً فعلى إسرائيل أن لا تخاف حتى يظهر مثل عمر وصلاح الدين؛ لأنه الماركة مسجّلة، والبضاعة لابد أن تكون من شركة مكّة الربانيّة النبوية، عليها دمغة: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ تربّوا في ﴿بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ وهم من كتيبة ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ العلامة الفارقة ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم﴾، والأمة التي رُزِقت عادل إمام سترزق بإمام عادل.

تجديد الدين

- تغير الفقه من فهم الكتاب والسنّة والعكوف على استنباط الحكم والأسرار فيها إلى جمع أقوال الناس وحفظها ونقلها للعامة.
- لم يكن الصحابة يذكرون قول الصحابي إلا إذا كان له حكم الرفع، فلما جاء المتأخرون ذكروا أقوال كل عالم حتى اتباع المذاهب.
- تغيرت دراسة العقيدة من معرفة المعتقد من الكتاب والسنة بلا خلاف إلى أن ذكرت أقوال الطوائف والرد عليها في صلب كتب العقيدة، فكلما جد شبهة أو قول ذكروا من قال به والجواب عليه، فصعب على الطالب معرفة الحق بسهولة.
- ومن العجائب إدخال الكلام في العقائد، بل تسمية العقيدة بعلم الكلام، ودراسة هذا العلم والإنكباب إليه والتفرغ له، وهجر الدليل الشرعي.
- ومن المخالفات إدخال الفلسفة والمنطق في علوم الشرع وتعليمها الطالب، على أنها من فنون الدين وقوام الملة، حتى وجد منهم من ألم بها، وجهل علم الأثر تماماً.
- وزُحمت علوم الشريعة بفنون أخرى: كالتاريخ والجغرافيا والرياضيات وغيرها، حتى ضعف طالب الشرع في فنه، وكدّ ذهنه، وما حصل على طائل.
- تغير حال كثير من المفتين إلى حفظة لكلام الناس، ونقلة لجمل الفقهاء، بلا فقه في الآية والحديث، وصار من يفتي بالآية والحديث، ويأخذ من الوحي مباشرة غريباً.
- مراحل تصعيب العمل مرت بمراحل من جمع الحديث، ثم ذكر السند والرجال، وهذا عمل محمود، ثم شرح الحديث، ثم ألف مختصرات فقهية، ثم شرحت، ثم نظرت، ثم ترك الاستدلال بالسنة مباشرة، وصار المعوّل في الفقه على الكتب المذهبية.

- كان عند الصحابة توازن في أبواب الطاعات من صلاة وصوم وذكر وجهاد وحقوق أهل وكسب ومنصب، أما المتأخرون فطغى جانب من حياتهم على جانب، فمنهم من لزم الصلاة فتنفل بمئات الركعات وترك بعض الواجبات، ومنهم من صام حتى أسوّد جلده وهجر حقوق الأهل، ومنهم من غلب الجهاد حتى أدخل قتاله للمسلمين في الجهاد الشرعي وارتكب بسببه منكرات، ومنهم من غلب التلاوة حتى ترك طلب العلم وجعل وقته للقرآن حتى صار يقرؤه هذّاً بلا تدبر، ومنهم من انغمس في علم الرواية والرجال حتى أهمل النص وهو المقصود.
- لم ينبل أحد من الصحابة بموهبة لا ينصر بها الدين، وتعز بها الملة، فلم يكونوا يمدحون أحداً بالحافظ لأشعار العرب، الراوية لأخبارهم، العارف بالآثار. ومن مدح منهم بشيء من المواهب فلما لهذه الموهبة من صلة بالدين: كحسان مدح بشعره، وثابت بن قيس بخطابته، وخالد بشجاعته؛ لأنهم سخروها لدينهم.
- قلّ القياس النظري عند الصحابة وكثر الفهم العملي، فهم يغلبون مزاولة الدين في الأعيان لا حفظ الأقيسة في الأذهان، ومدح المتأخرون بالتعمق والتدقيق الذي ذمّه السلف؛ لأن فيه تكلّفًا وتنطعًا وتشددًا.
- الإيغال في علم أصول الفقه والتدقيق فيه ليس من علوم الشريعة؛ لأن التعمق والتدقيق التي دخلت عليه إنما دخلت من قبل العجم، لأن علومهم متكلفة مرتبة بخلاف طريقة العرب الطريقة الأمية السهلة الميسرة، ولو طالعت كتاباً في أصول الفقه لجزمت جزماً أن الصحابة لم يسلكوا هذا المسلك، ولم يغوصوا على دقائق هذا الفن، الذي فيه من الإيغال والطلاسم العلمية والمصطلحات الحادثة الصارفة عن الفقه.

- المبالغة في حفظ المتون ليست من طريقة الصحابة والتابعين في طلب العلم، لكنها صارفة عن الفهم إذا صارت مقصودة لذاتها، فتجد المتأخرين صنفوا متناً في كل فن ومنظومة للعلم، ليحفظها الطلاب، فهناك منظومة للفقه وأصوله والنحو واللغة والصرف والعقيدة والمصطلح، بل نظمت بعض كتب الحديث والتواريخ وشتى الفنون، فمتى يفرغ الطلاب لفهم نصوص الشريعة، وهذه المتون تحتاج إلى زمن طويل للحفظ والمراجعة.
- كثرة التصانيف في الفن الواحد أعاقت فهمه، وجعلت الطالب في حيرة بين الأساليب والمصطلحات، فتجد في الفقه عشرات الكتب، فإذا قرأها الطالب حار في فهمها وضبطها وطالت عليه الطريق وأرهق، وربما ترك الطلب وضعف في التحصيل، وتصوّر لو اطلع الصحابة على هذه المصنفات الطويلة الثقيلة في شتى الفنون، التي صرفت الجيل عن فهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ.
- بالغ المتأخرون في علم الفروع في الفقه، لأنها باب للجاه والرزق والمناصب، وقللوا من الاهتمام بعلوم أصول الدين وأبواب الإيمان ومن أعمال القلوب، فأكثر كلام الفقهاء في مسائل الخلاف، والرد على الخصوم، والانتصار لأقوالهم، وتقوية مذاهبهم، مع إهمال التفكير في أسماء الله تعالى وصفاته، ومسائل الآخرة وعلم الغيب، وغيرها من أصول الدين، والكثير هجر أعمال القلوب ودراستها: كالرغبة والرهبة والخوف والرجاء والمحبة ونحوها من المهلكات: كالكبر والحسد والعجب والرياء، حتى وقع فيها.
- وبالغ كثير من الدعاة في السياسة، وأوغلوا فيها على حساب دروس العلم والفقه في الدين وجعلوا.... الخلافة من أهم مقاصد الدين، وأهم مقاصد الدين التوحيد، والتفقّه في الكتاب والسنة، ولما تعمق كثير من الدعاة في السياسة أعرضوا عن الكتاب والسنة وقست قلوبهم وأهملوا النوافل واشتغلوا

بالجـدل ثم واجهوا الحكام في صدام دموي، أعقب لهم السجون والمعتقلات، وعاد ذلك بالضرر على الدعاة؛ لأن الطريق لم تكن شرعية صحيحة.

- ومن الخطأ الكبير إضعاف تعلم القرآن في المدارس والجامعات، وجعله مادة ثانويـة، والاهتمام بعلـوم الدنيا وثقافات الناس، وإشعـار الطالب أن القرآن للبركة، وهذه العلوم لقيام الحياة، فانهمك الطالب في دراسة ما كتبه البشر، ومراجعـة مـا صنفوا، وترك للقرآن وقتـاً قصيراً إن كان عنـده تدّين، فجاء إلى كتـاب الله وسنة رسولـه ﷺ بفكر منهك وقلب مرهق، فقلّ فهمه للوحي، ونزعت البركة في حياتهم.

- ومـن التجديد إعادة خطبـة الجمعة لسابق عهدها مـن التقصير والاهتمام بغرس الإيمان في القلوب، وزجر القلـوب عن المعاصي، وعدم الاسترسال في أمـور فكريّة جدليّة، أو ثقافيـة تنظيريّة، أو سياسيـة، لا ينتفع بها الحضور، وليس لهم قدرة في فعل شيء من الأحداث، بل يشتت أذهانهم ويخرجون ولم ينتفعـوا بالخطب؛ لأن مقصود الخطبة وعظ الناس وتذكيرهم وإرشادهم لما ينفعهم وزيادة إيمانهم بما يسمعونه من كلام نافع من مشكاة النبوة.

- ومـن التجديد إعادة الناس إلى تفسير كتـاب الله بالمأثور من كلام رسول الله ﷺ وكلام أئمـة الإسـلام مـن أهل العلم والإيمـان، أما تحميـل كلام الله ما لا يحتمل والتكلـف والتقعـر في استخـراج معـان لا تدل عليهـا الآية، فهو علـى خلاف هدي السلـف، بل يؤخذ من الآية ما وافق اللغة ومقاصد الشريعة ومدلول الكلام والفطر السويّـة، وقد أسهـب كثير من المفسرين في إيـراد معان للقـرآن لا دليل عليها، بل صارت مشغلة عن تدبر القرآن.

- ومـن التجديـد إعادة قـراءة سيرة الرسول ﷺ مـع تفاصيل حياتـه المباركة، والتمعن في أيامه وأخباره وهديه ﷺ، والتّدرب على تطبيقها والعمل بها خلافاً لمن جعـل السيرة أخباراً عامة كسرد الغـزوات، ولم يذكر تفاصيل حياته ﷺ،

فأصبح التصور عند الجيل عن سيد الخلق ﷺ ضعيفاً، وأصبحوا فقط يعرفون أشياء عامة، مثل مولده وهجرته وغزوة بدر ونحوها، وهذه وحدها لا تذكي نار المحبة والاقتداء به ﷺ عن اتباعه.

- ومن الخطأ الانغماس في المسائل الجدلية التنظيريه وإهمال العملية، وهذه طريقة المفكرين، فإنهم يشغلون أنفسهم والناس بجدل عقيم وتحليل سقيم وفي المقابل يهملون ما يجدر بحثه من مسائل عملية وأخلاقية دعا إليها الشرع، وهي من أسباب النجاة والفوز، فلما سمع الناس تهويل المثقفين والمفكرين لفنونهم اغتر الكثير، وظن أن هذا الفن أنفع وأجدى من مسائل الدين وأبواب الشريعة، فأعرضوا عنها.
- والمحافظة على طبيعة الدين في اليسر واجب، لأن الشريعة سمحة، ومن الخطأ تقليد الرهبان في التبتل المنحرف، كما فعل غلاة الصوفيّة، بل نهج هديه ﷺ في التوسط والاعتدال والترفق بالجسم والتلطف بالروح، وقد أخطأ بعض العبّاد في التشديد على النفس، حتى أدى بعضهم الاجتهاد في العبادة إلى المرض، وهذا خلاف السنة، وظنوا أنهم كلما أوغلوا وتعمّقوا في الدين ازدادوا قربا، والقرب في اتباع السنة.
- حرص الصحابة على زيادة الإيمان وإخلاص النيّة وأعمال القلوب أعظم في حرصهم على زيادة العمل وكثرة المجاهدة.
- كانوا يجتنبون أمرين شنيعين غاية الاجتناب، وهما الكفر والنفاق، أما غيرهما من الذنوب فتحصل منهم.
- كانوا سهلين ميسرين، لا يتكلفون ولا يتنطعون، عبادتهم معقولة، يستطيع أن يقوم بها غالب الناس؛ لأنهم على الحنيفية السمحة.

- لا ينقـرون في المسائـل، ولا يتعمقـون في قضايا العلوم، ولا يذكـرون أقوالاً في المسألة، بل يأخذون بأيسر وأصح الأقوال.
- يبتعـدون عـن الغرائـب والشـواذ، وينكـرون البـدع، وينهـون عـن التشدد، ويحرصون على لزوم السنة.
- كانوا يأخذون مـن الشريعة ما تنفر عنه الطبيعة، أي أن الواحد منهم يسلك ما يناسبه من غنى أو فقر، ومن قوة أو ضعف، ومن جاه أو خمول، ومن خلطة أو عزلة.
- كان التفاضـل عندهم بالأسبقيـة إلى الإسلام والأعمال الصالحة والمقامات الجليلة في نصرة الدين.
- كانـوا لا يتعسفـون المواهب، بـل يجرون مع ما أعطاهـم، الله فيسخرونها في نصرة دينهم: كالخطابة والشعر والشجاعة والكرم
- كانـوا يسلكون من العلم المعروف المشهور، ولا يأتون بغرائب الأقوال ومنكرات المسائل.
- لم يكونـوا أهل فنون ومصنفـات، بل كانوا أهل قلوب سليمـة، وأفكار قويمة، وفطر صحيحة.
- اهتموا بفهم النص ومعرفة مقاصد الشرع، وأعفوا أنفسهم من تكلف الوسائل المعيقة من العلوم الغير مقصودة لذاتها.
- لم يجمعوا علوم الأمم الأخرى صيانة لما عندهم من الحق، فسلمت أذهانهم من لوثة الانحراف، وقلوبهم من كدر الإعراض عن الوحي.
- كان رسول الله ﷺ يداوي داء كل واحد منهم بما يناسبه، فأبو ذر بـ «لا تغضب» والسب في لسان حذيفة بالاستغفار، وصاحب الشهوة الجامحة بالصوم... إلخ
- لم يكن في حياتهـم العلمية جمع لقصص الناس وأخبار الأمم، ولم يحرصوا على ذلك، لأنها شاغلة لهم لو حصلت عن الكتاب والسنة.

- كان الشعـر في مجالسهم قليل بقدر الحاجـة، ولم يتوسعوا فيه، وورد فيه ذم من صاحب الشرع، فاقتصروا على المثل والشاهد والحكمة وما ينفع.
- لم يطلبـوا الفنون لذاتها، بـل بقدر ما تعينهم على نشر الشريعة، فلم يتعلموا الخطابة تعلماً، ولم يحفظوا الشعر، ولم يتدربوا على المناظرة والجدل.
- كانوا يفهمون أكثر مما يحفظون، حتى قل في كبارهم حفظ القرآن والحديث، مع غزارة الفهم وصدق التوجه وحسن العمل.
- لم يفسـروا القـرآن كلمة كلمة أو آية آية، بل فهمـوا عمومه، وأخذوا بظاهره، وعرفوا مقاصده.
- لم يعقـدوا مجالس للمناظـرة والجدل، بل ورد النهي بذلـك، وجعلوا مكانها الذكر ومدارسة القرآن والتفكر في النعم.
- لم يخرجوا من الدنيا خروج الرهبان، ولم ينغمسوا فيها انغماس الأحبار، بل أخذوا بقدر الحاجة، وتناول المتاع الحسن في نطاق الحلال.
- لم يكن عندهم دروس طويلة، ولا محاضرات ولا ندوات، وإنما كلمات نافعات، وعظات بالغات موجزات.
- كان عندهـم اجتهـاد في عمل القلب، واقتصاد في عمـل الجسم، فسبقوا من بعدهم مع اليسر.
- لم يضيفوا أي طريقة أو هيئة أو صورًا على السنة: كالتحلق للقصص والمسبحة ومجالس المناظرة أو شرح الدليل أو طلب علم الوسائل.
- لم يوغلـوا في العزلـة، بل خالطوا لحاجتهم للخلطـة، فكانوا مع المصلحة من الخلطة والعزلة.
- لم يتركوا الدنيا إذا قوّت الدين، ولم يطلبوها إذا أشغلتهم عن طاعة رب العالمين.
- تركوا تشقيق مسائل العبـادات، وتوليد أعمال القلوب، واجتنبوا مصطلحات الأمم الأخرى الدخيلة.

- لم يكن عند علمائهم الرغبة في الرد لذاته، وإفحام الخصم وقهر المجادل، بل كان كلامهم قليلاً لإثبات الحجة وزيادة اليقين.
- لم يكن عندهم طوائف عقدية، ولا فرق مذهبية، ولا أحزاب سياسية، بل كانوا جماعة المسلمين.
- لم يتكلفوا في حياتهم إحضار مفقود، ولا رد موجود من وسائل العيش وصنوف النعيم في الزواج.... والطعام واللباس والسكن ونحو ذلك.
- لم يتمادوا بالمواهب إلا إذا أعانتهم على العبادة، فلم يظهر فيهم مقولة: أحفظ الناس، وأخطبهم، وأرواهم، وأسرعهم بديهة، فكان أبواب التفاضل عندهم طاعات، لا مواهب ومهارات.
- ومن تجديد الدين البقاء على أساليب الشريعة كتاباً وسنة بعيدًا عن تعمق الفلاسفة، وتحذلق المتكلمين، وتشدق المفكرين، وقد ألمح الشاطبي إلى المعنى، وبين أن الشريعة سمحة سهلة على أساليب أهل المنطق وعلماء الكلام، فالواجب المحافظة على هذا النهج في فهم الشرع.
- ومن ذلك البعد عن الإغراق في الجزئيّات، والانهماك في مسائل الفروع، على حسب الأصول والاشتغال بالخلفيات، وإهمال القواطع والثوابت، فإن المتأخرين أسرفوا في ذكر عشرات الأقوال في المسألة الواحدة، وأنت لو فتشت في كلام الصحابة لا تجد صحابيّاً يقول في مسألة: فيها قولان؛ بينما وصل الحال بالمتأخرين إلى أن ذكروا في مسألة واحدة أكثر من أربعين قولاً، كما في ليلة القدر في فتح الباري.
- ومن تجديد الدين تغليب الفقه على الحفظ في طلب العلم.
- ومن ذلك الاهتمام بالأخلاق والآداب، فقد جردت كثير من كتب العلم الفقه، ولم تذكر معه الخلق والآداب.

- والإسهاب في تفسير القرآن بكل قول مشغلة عن فهمه.
- والانهماك في النوافل بلا تدبر وتعقل لأعمال القلوب عمل مفضول.
- والرد على المخالف يكون بالأكثر خلافاً، وهكذا فالرد على الكافر قبل المبتدع، والمبتدع قبل المخالف في الفروع.

وفي الختام

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

«سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

«اللهم، صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».